

تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد

تأليف

الإمام المحدث السلفي الشهير بالأمير
محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني

١٠٩٩ هـ - ١١٨٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الإمام العلامة الحبر الفهامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله تعالى^(١)

[مقدمة الكتاب]

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد، حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الأفراد، فلا يتخذون له ندًا ولا يدعون معه أحدًا، ولا يتكلمون إلا عليه، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنی، ولا يتوصلون إليه بالشفعاء، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له^(٢) ربًّا ومعبودًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أمره أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وكفى بالله شهيدًا. صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب، وتطهير القلوب؛ عن اعتقاد كل شين يشوب.

(١) ما بين القوسين من. خ.

(٢) لفظ "وحده لا شريك له" من. خ.

وبعد: فهذا (تطهير الاعتقاد، عن أدران الإلحاد) وجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصيفه، لما رأيته، وعلمته يقيناً^(١) من اتخاذ العباد الأنداد^(٢) في الأمصار، والقرى وجميع البلاد، من اليمن، والشام، ومصر، ونجد، وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبور، وفي الأحياء، ممن يدعي العلم بالمغيبات، والمكاشفات، وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يرى لله راکعاً، ولا ساجداً، ولا يعرف السنة، ولا الكتاب، ولا يهاب البعث، ولا الحساب.

فوجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره.

فاعلم أن هاهنا أصولاً، هي من قواعد الدين، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين.

(١) لفظ "يقيناً" من. خ.

(٢) جمع ند وهو المماثل المكافئ (الناشر).

الأصل الأول

كل ما في القرآن حق

إنه قد علم من ضرورة الدين: أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه.

فهذا الأصل، أصل لا يتم إسلام أحد، ولا إيمانه إلا بالإقرار به، وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه.

الأصل الثاني

الرسل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله بتوحيد العبادة

أن رسل الله وأنبياءه - من أولهم إلى آخرهم - بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢٦]، ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٣].

وهذا هو الذي تضمنه قول "لا إله إلا الله" فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه. وهذا الأصل لا مزية^(١) فيما تضمنه، ولا شك فيه، وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه.

الأصل الثالث

أقسام التوحيد

أن التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية، والخالقية، والرازقية، ونحوه. ومعناه: أن الله وحده، هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم، والرازق لهم. وهذا لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مقرون به، كما سيأتي في الأصل الرابع.

والقسم الثاني: توحيد العبادة. ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات، الآتي بيانها. فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء. ولفظ "الشريك" يشعر بالإقرار بالله تعالى.

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول، ودعاء المشركين إلى الثاني، مثل قولهم في خطاب المشركين: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ

(١) أي لا شك فيه ولا ارتياب (الناشر).

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿١٠﴾ [إبراهيم: ١٠]. ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣]. ونهيههم عن شرك العباد؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] - أي قائلين لأممهم: أن اعبدوا الله. فأفاد بقوله ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٣٦] أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل وتبعث إلا لطلب توحيد العباد، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم، وأنه رب السماوات والأرض، فإنهم مقرون بهذا؛ ولهذا لم ترد الآيات فيه في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير، نحو: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] استفهام تقرير لهم؛ لأنهم به مقرون.

وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان^(١) ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى، لأجل أنهم أشركوهم في خلق السماوات والأرض، وفي خلق

(١) الصنم: ما كان منحوتاً على صورة، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك وقد يسمى الصنم وثناً..

أنفسهم، بل اتخذوهم؛ لأنهم يقربونهم^(١) إلى الله زلفى، كما قالوه، فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم، وأنهم شفعاء عند الله.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا، ونزه نفسه عنه؛ لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لهم، لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئا؟

الأصل الرابع

المشركون مقرون بأن الله خالقهم

إن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله خالقهم ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض،

(١) أي يزعمون أنهم يقربونهم.

وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ
مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]،
﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٤﴾ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٣٧﴾﴾
[المؤمنين: ٨٤ - ٨٩]^(١) وهذا فرعون مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح
دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء، يقول الله في حقه، حاكياً عن
موسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال إبليس: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾﴾
[الحشر: ١٦]، وقال ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] وقال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾
[الحجر: ٣٧]... وكل مشرك مقر بأن الله خالقه، وخالق السماوات
والأرض وربهن^(٢) ورب ما فيهن ورازقهن، ولهذا احتج عليهم الرسل

(١) فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

(٢) لفظ "هن" في كلمة ربهن وفي كلمة "فيهن" من. خ وعبارة المطبوعة " وربهما ورب ما فيهما".

بقولهم: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۚ ﴾ [النحل: ١٧]. وبقولهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ ﴾ [الحج: ٣٧]، والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه.

الأصل الخامس

أساس العبادة توحيد الله

إن العبادة^(١) أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله؛ لأنه مولى أعظم النعم، وكان لذلك حقيقةً بأقصى غاية الخضوع كما في (الكشاف)^(٢) ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته، التي إليها دعا جميع الرسل، وهي قول (لا إله إلا الله).

والمراد اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، لا مجرد قولها باللسان. ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كل معبود دونه.

وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنهم أهل اللسان العربي، فقالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

(١) معنى العبادة: الخضوع المطلق له، وتوجيه العبادة إليه وحده لا شريك له (الناشر).

(٢) في تفسير الآية الكريمة "إياك نعبد وإياك نستعين".

فصل

أنواع العبادة

إذا عرفت هذه الأصول، فاعلم: أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً^(١)

اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد، الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضرر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية.

ومنها لفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر، ولم ينطق بها: لم يحقن دمه، ولا ماله، وكان كإبليس فإنه يعتقد التوحيد، بل ويقر به، كما أسلفنا عنه، إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود^(٢) فكفر، ومن نطق بها^(٣) ولم يعتقد حقن ماله، ودمه، وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام، والركوع، والسجود في الصلاة. ومنها الصوم، وأفعال الحج، والطواف.

(١) وذلك حسب جهتها إن كانت ترجع للاعتقاد، أو النطق، أو للبدن، أو للمال (الناشر).

(٢) لفظ "بالسجود" من. خ.

(٣) لفظ "بها" من. خ.

ومالية: كإخراج جزء من المال، امتثالاً لما أمر الله تعالى به. وأنواع الواجبات، والمندوبات في الأموال، والأبدان، والأفعال، والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها.

الرسول مبعوثون للدعوة إلى إفراد الله بالعبادة

وإذا تقررت هذه الأمور، فاعلم: أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه. ولذا قالوا ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

أي: لنفرد به بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا فلم ينكروا إلا طلب الرسول منهم إفراد العبادة لله، ولم ينكروا الله تعالى، ولا قالوا: إنه لا يعبد، بل أقروا بأنه يعبد، وأنكروا كونه يفرد بالعبادة، فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا معه أندادا، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، أي: وأنتم تعلمون أنه لا ند له.

وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك"، وكان يسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم "لا شريك لك" فيقول: "قد قد" أي^(١) أفردوه جل

(١) "قد" الثانية ولفظ "أي" من. خ وقد حصل خلل في المطبوعة بسقوطهما.

جلاله، لو تركوا قولهم: إلا شريكاً هو لك. فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى.

كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]،

﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالى، ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالندور والنحر لهم، إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم لديه.

فأرسل الله الرسل تأمرهم^(١) بترك عبادة كل ما سواه، وتبين أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، وأن التقرب إليهم باطل، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده. وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا مقرين - كما عرفت في الأصل الرابع - بتوحيد الربوبية وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده.

ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح عليه السلام^(٢) - إلى آخرهم - وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم^(٣) هو توحيد العبادة، ولذا تقول لهم الرسل ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا

(١) لفظ "هم" في تأمرهم من. خ.

(٢) ليس أول الرسل نوحاً، بل آدم عليه السلام وإنما نوح أولهم بعد الطوفان أي من العصر الثاني للخليقة (الناشر).

(٣) قوله "ابن عبد الله" من. خ.

﴿ اَللّٰهُ ۚ ﴾ [هود: ٢٦]، ﴿ اَعْبُدُوا اَللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ ۚ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد، وهي في الأصل صور رجال صالحين كانوا يحبونهم، ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسلياً بها فلما طال عليهم الأمد عبدوهم، ثم زاد الأمد طولاً، فعبدوا الأحجار.

ومنهم من يعبد المسيح ومنهم من يعبد الكواكب ويهتف بها عند الشدائد. فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى عبادة الله وحده، بأن يفردوه بالعبادة. كما أفردوه بالربوبية... بربوبيته للسموات والأرض وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة "لا إله إلا الله"، معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها وأن لا يدعوا مع الله أحداً. وقال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى اَللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا۟ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ۝ ﴾ [المائدة: ٢٣]، أي من شرط الصدق في الإيمان بالله أن لا يتوكلوا إلا عليه، وأن يفردوه بالتوكل، كما يجب أن يفردوه بالدعاء، والاستغفار.

وأمر الله عباده أن يقولوا: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى، وإلا كان كاذباً منهيّاً عن أن يقول هذه

الكلمة، إذ معناها: نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد، وهو معنى قوله: ﴿فَأَيُّنِي فَأَعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿وَأَيُّنِي فَأَتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

لما^(١) عرف من علم البيان، أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي لا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله، ولا تتقوا^(٢) غيره كما في (الكشاف).

فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد، والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات: من الخضوع، والقيام تذلاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير، كله لا يكون إلا لله عز وجل، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنياً، أو حياً، أو ميتاً، وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق،

(١) "لما" باللام هو لفظ خ ووقع في المطبوعة "كما" بالكاف.

(٢) قوله: "إلا الله ولا تتقوا" من. خ.

مشركاً بالله، وإن أقر بالله وعبد، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم غنيمة.

قال الله تعالى: **"أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ"**^{(١)(٢)} لا يقبل الله عملاً شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم (٢٩٨٥).

(٢) أي في الحديث القدسي: وتمامه: "... من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" الناشر.

فصل

الإقرار بالله لا يكفي في التوحيد

إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن عبادتهم، هي اعتقادهم فيهم: أنهم يضرون، وينفعون، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم، ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين، متواضعين في خدمتهم، وسجدوا لهم، ومع هذا كله، فهم مقرون لله بالربوبية، وأنه الخالق، ولكنهم لما أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين، ولم يعتد بإقرارهم هذا، لأنه نافاه فعلهم.

فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية: فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية: أن يفرد بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك، فالإقرار باطل.

وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار فقالوا: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ

مُبينٍ ﴿٧٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] مع أنهم لم

يسووههم به من كل وجه، ولا جعلوهم خالقين، ولا رازقين، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله، وبأنه خلقه، وخلق السماوات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان.

بل سمى الله الرياء^(١) في الطاعات شركاً، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله لا غيره، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة، وسماها شركاً.

كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ"^(٢).

بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

فإنه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَمَّا حَمَلَتْ حَوَاءٌ - وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ - طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَقَالَ: لَا يَعِيشُ لَكَ وَلَدٌ حَتَّى تُسَمِّيَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ،

(١) وهو إظهار الطاعة بقصد كسب الثناء، والذكر الحسن من الناس. (الناشر).

(٢) سبق تخريجه في ص (١٧).

فَسَمَّيْنَاهُ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
الْآيَاتِ"^{(١)(٢)} وسمى هذه التسمية شركاً، وكان إبليس تسمى
بالحارث، والقصة في (الدر المنثور) وغيره^(٣).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، برقم
(٢٠١١٧)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأعراف، برقم (٣٠٧٧).
(٢) وهي قوله تعالى في سورة الأعراف: (فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما
فتعالى الله عما يشركون).. (الأعراف - ١٦٠).

(٣) جزم ابن القيم في روضة المحبين ص ٢٨٩ طبعة مطبعة السعادة بمصر بأن المراد باللذين
جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولاد آدم وحواء، وقال: ولا يلتفت إلى غير
ذلك مما قيل أن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتما أن
يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه، وهواه فلم
يكن ليشرك به بعد ذلك، وقد سلك هذا المسلك الحافظ ابن كثير في تفسيره وأطال
الكلام في تحليل الروايات الواردة في أن المراد بقوله تعالى (فلما آتاهما صالحاً جعلا له
شركاء فيما آتاهما) غير آدم وحواء.

فصل

الاعتقاد في غير الله شرك

قد عرفت من هذا كله: أن من اعتقد في شجر أو حجر، أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع، أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به، والتوسل به إلى الرب تعالى.

إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم^(١) أو نحو ذلك - فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقده المشركون في الأوثان، فضلاً عما ينذر بماله، وولده لميت، أو حي، أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من

(١) هو على كل تقدير من قبيل التوسل بالدعاء كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، قال (حديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه - فإن الأعمى قد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره فقال له: إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك، فقال: بل ادعه فأمره أن يتوضأ، ويصلي ركعتين ويقول: اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها. اللهم فشفعه في، فهذا التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال: "فشفعه في" فسأل الله أن يقبل شفاعته رسوله فيه وهو دعاؤه).